

■ على الغلاف

غزة تحتفل والمستوطنون يتظاهرون المقاومة تجبر العدو على التهدئة

الجولة الكبرى منذ الحرب الأخيرة انتهت لمصلحة المقاومة، في مرة ثالثة هذه السنة، بعدما وجهت فصائل كافة ثلاث ضربات نوعية إلى العدو الإسرائيلي، مخرجة له من «أرشيف الإعلام الحربي»، ما زاد من صعوبة الموقف عليه، وأكثر ما كانت الصورة جلية، خرج مستوطنو «غلاف غزة» في مشهد لافت لاستنكار ما حل بهم من جهة، ورضوخ جيشهم للهدوء... محسوب له



جذبت الحائفة الشعبية للمقاومة لفتما بها وانطلقت في مسيرات عفوية بعد إعلان التهدئة (أي بي سي)

غزة - هاني إبراهيم

مشهد فارق في المواجهة بين المقاومة الفلسطينية والعدو الإسرائيلي، فيبشعال الإطارات والتظاهرات احتجاج سكان مستوطنات «غلاف غزة» على عجز قيادتهم السياسية والعسكرية أمام المقاومة بعد جولة قتال استمرت 24 ساعة، فرضت فيها المقاومة معادلتها، ووجهت صفعات قوية إلى تل أبيب التي ظهرت عاجزة عن ردّ نابع، وبالأحرى لا تملك خطأ عملية وفعالة، فضلاً عن عنصر المفاجأة بعد إحباط عملية أمنية «خطيرة» جنوب قطاع غزة. وفي المقابل، خرجت تظاهرات عفوية

وجهت الفصائل الفلسطينية ثلاث صفعات إلى الاحتلال في هذه الجولة

في أنحاء متفرقة من القطاع ابتهاجاً بانتصار المقاومة، وفرضها التهدئة بعد عملها بمعادلة «توسع دائرة النار» وفق الحاجة. فبعد أطول اجتماع عقده «مجلس الوزراء المصري» (الكايبنت)، وافق العدو على التهدئة مع فصائل المقاومة، جزاء تدخلات عربية ودولية، لكن من دون حصوله على صورة النصر النهائية، عقب ثلاث صفعات وجهتها المقاومة إليه خلال اليومين الماضيين، بداية بكشف عملية التسلل في خانينوس وقتل ضابط كبير، ثم

تواضع أداء «القبة الحديدية»

أظهرت جولة التصعيد الأخيرة تواضع أداء منظومة القبة الحديدية لاعتراض الصواريخ، التي أطلق منها المئات من القطاع باتجاه الأهداف الإسرائيلية، مع نجاح اعتراض محدود، قياساً بما سبق من جولات تصعيد سابقة بين الجانبين. تواضع أداء المنظومة كان واضحاً، وعدد الصواريخ التي فشلت في اعتراضها كان كبيراً جداً، إذ اعترضت أقل من 100 صاروخ من أصل 460. أطلقت في اليومين الماضيين من القطاع، فشل المنظومة وتقلص كفاءتها عما كان يتوقع منها المستوطنون، دفع المحللين والعلمين في إسرائيل إلى البحث عن الأسباب مقابل دفاع المؤسسة الأمنية عنها. الناطق باسم جيش العدو، العميد رونن منليس، أشار في دفاعه إلى أن «أداء القبة الحديدية وصل إلى حده الأقصى، وهذا ما يمكن أن تقوم به، إذ لا أداء محكماً لدى المنظومة». كذلك كشفت تقارير عبرية، أن الفصائل في غزة استطاعت العمل هذه المرة على تجاوز المنظومة، عبر تكثيف الهجمات وتعدد الصلصات، وكذلك العمل على إطلاق الصواريخ من زوايا وأماكن يصعب على القبة تتيبعا. (الأخبار)

توقف الصواريخ، لكن العدو أبلغ الوسطاء أن أي خرق سيقابل بموجة قصف أشد من التي حدثت. جراء ذلك، تم التوافق للوسطاء أن عودة الاحتلال إلى «الغدر» يعني البدء بصفف تل التهدئة على مبدأ «الهدوء مقابل الهدوء»، مع الأخذ في الاعتبار إمكان عودة التصعيد في أي لحظة، إن الاحتلال ترك لنفسه فرصة المناورة، وهو ما أكده الناطق باسم «الجهاد الإسلامي» مصعب البريم، بالقول إن المقاومة

الدؤوب، والجهود الأمنية والدور الترويجي والقطري».

وجزاء القصف الإسرائيلي أمس، استشهد مساءً شباب وأصيب 5 مواطنين على الأقل بينهم مقاومون، جراء قصف الاحتلال موعباً للمقاومة في منطقة المطاحن وآخر شمال القطاع ورضاً زراعية شرق دير البلح (وسط). ما يرفع عدد الشهداء إلى سبعة، بخلاف السبعة الذين استشهدوا خلال تصديهم لوحدة التسلل. وكان ملاحظاً أن العدو تعهد سياسة التحذير قبل قصف البنايات السكنية تحديداً لإحداث مجزرة، وذلك عائد بدرجة أولى إلى تقديره أن المقاومة في هذا الموقف سوف تصعد باتجاه المدى والنوعية الصاروخية وسط الاحتضان الشعبي القوي لها، خصوصاً أنها تعهدت منذ البداية استهداف الجنود بصورة مباشرة.

استراتيجية ردّ جديدة

على صعيد التجربة الأخيرة، يقول مصدر في غرفة «العمليات المشتركة» لـ«الأخبار»، إن المقاومة اعتمدت استراتيجية جديدة للمرة الأولى في تاريخ المواجهة مع العدو، وذلك لتجاوز الضغط الكبير الذي يمارسه الاحتلال بتكثيف القصف على الأماكن المدنية. هذه الاستراتيجية تجلّت في تركيز القصف على مدينة محددة باستخدام صواريخ جديدة ذات قوة تفجيرية ودفقة عالية، إن «الشعب الفلسطيني هنية»، دافع عن نفسه خلال العدوان وسط الناطق باسم «الجهاد الإسلامي» مصعب البريم، بالقول إن المقاومة

التي تقع في هذا المدى. فبينما أدخلت المقاومة عسقلان في دائرة القصف المركز، تلقى المستوطنون فيها أكثر من 100 صاروخ، ما أدى إلى مقتل واحد منهم على الأقل وإصابة أكثر من 70 بينها إصابات خطيرة انتشرت من تحت أنقاض منازل مدمرة وفق وسائل إعلام عبرية، الأمر الذي دفع قيادة «الجبهة الداخلية» إلى الطلب من السكان الذين ليس لهم مكان في الغرف المحصنة بعد امتلائها، كما الجلوس في أماكن آمنة داخل منازلهم. لكن ذلك لم يلبه المقاومة عن ضرورة استهداف «غلاف غزة» بالصواريخ الصغيرة وقذائف الهاون. ولعدة ساعات من المواجهة، حافظت المقاومة على منسوب ردها العالي أمام القصف الإسرائيلي الذي بات مركزاً ضد أهداف مدنية لجعل الثمن كبيراً عليها، كما زادت درجة احتياطاتها والحماية الشخصية لقيادة المقاومة من أجل تجنب الاحتلال مكسباً يتخلل في اغتيال يحصل به على صورة التصر. ويؤكد المصدر نفسه أن أبرز رسالة كانت المقاومة تريد قولها للاحتلال إن ما حدث يمثل شكلاً صغيراً لأي حرب مقلية، وإن القدرة العسكرية في القطاع ليست كما قبل، وإنّما يمكن أن تفرض العادات.

صعوبة قرار الحرب

على الجانب الآخر، أفضى اجتماع «الكايبنت» في مرحلة ما عن ترك التقدير للجيش ليعقر مواصلة العملية «كما تقتضي الحاجة»، ثم انتهى إلى القبول بالعودة إلى الهدوء، في اجتماع هو الأطول في تاريخ المقاومة الحالية، فقد استمر ست ساعات متواصلة، وحضره للمرة الأولى

رئيس «الموساد»، يوسي كوهين، والمستشار القانوني للحكومة، أفضى أنشدليليت، الذي صرح عقب الاجتماع بأنه يعمل على «مساعدة القيادة السياسية والعسكرية في هزيمة العدو في إطار القانون»، الأمر الذي أوضحته صحيفة «إسرائيل اليوم»، بالقول إن المجلس الصغير «درس طرقاً لعاقبة حماس من دون مواجهة شاملة».

ولسم يمض على ذلك وقت قصير حتى بدأت المزاووات الداخلية، والإعتراف بأن المقاومة الفلسطينية هي صاحبة اليد العليا وحققت أهدافها خلال هذه الجولة، كما تظاهر العشرات من مستوطنى «غلاف غزة» وأغلقوا الطرق وهاجموا ضد الحكومة واتهموها بأنها «جبانة».

احتجاجاً على صورة الهزيمة التي مني بها الجيش، ما أدى إلى تصادمات بينهم وبين شرطة الاحتلال وفق إذاعة «ريشت كار» عبرية في المقابل، حاول وزيراً الأمن أفغدور لبيرمان والتعليم نفتالي بينت التحصل من الموافقة على التهدئة، إذ لمح لبيرمان، وفق القناة «العشرة»، إلى أنه الوحيد الذي عارض الاتفاق، وكذلك بثنت كذب كل التقارير التي تقول إنه وافق، وبينما نقلت المراسلة السياسية لقناة «ريشت كار» أنه خلال الساعات الست انتقد الوزراء الحيش لأنه لا يوجد لديه «بائل كافية»، في حين أن القيادات العسكرية ردت بأنها «حائرة» بسبب الإراء المختلفة للكايبنت».

يحيه ذوقف

تنتهي جولة التصعيد الأخيرة في قطاع غزة بلا تاسيسات فعلية من شأنها منع ما يمكن أن يعقبها من جولات، يبدو أن رجحانها مرتفع جداً، مع أو من دون رغبة الطرفين في الوصول إليها. مع ذلك، توقف التصعيد ضمن معادلة «الهدوء مقابل الهدوء»، لا يمنع أو يقلص مفاعيل صورة الانتصار الفلسطينية على الوعي، كما خرج به واقع تبادل الضربات في اليومين الماضيين، وهي صورة سبّية من ناحية تل أبيب وستلاحق المسؤولين الإسرائيليين لغاية تبادل الضربات المقبلة، ما لم يقطع هذا التقدير الأولى التي امتدت طويلاً، وخلصت لهدوء طويل الأمد، ما زالت مقدماته مستعصية على الوسطاء.

نتيجة جولة التصعيد كما انتهت عليها أمس، متشعبة باتجاهين أساسيين: صورة انتصار فلسطينية بنسبة عالية جداً مقابل صورة أتخسار إسرائيلي واضحة، وهي صورة، غير محصورة فقط بالمنظور الفلسطيني، بل أيضاً وبشكل أساسي، لدى الجانب الإسرائيلي وجمهوره، الذي تلقى تدكيراً مع قيادته حول ما كان يمكن، وكذلك ما يمكن لاحقاً، في حال تطورت المواجهة واتسعت دائرتها.

والانتهاء الثاني، وهو الأكثر تأثيراً وحضوراً لدى تل أبيب، تراجع صدقية إسرائيل وقابليتها لدى أعدائها، إن عاوت وهددت باستخدام الخيارات العسكرية مقابل قطاع غزة، مع حضور محدودية الإرادة لديها على الذهاب بعيداً في المواجهة، حتى وإن عمدت فعلياً إلى مباشرتها.

مما تشكل من معطيات ووقائع نتيجة التصعيد من شأنها التأثير في المشهد الفلسطيني الغزّي للمرحلة المقبلة، من المفيد الإشارة إلى الآتي: تعد هذه الجولة، الأعنف والأكثر اتساعاً مقارنة بما سبقها. مع ذلك، كانت الجولة مرشحة للتوسع أكثر، لدى الجانب الفلسطيني تحديداً، وباتجاه طلبة تصعيد تشمل في مرحلة وسيطة مدينتي اسدود وبئر السبع، قبل أن تتطور إلى وسط «إسرائيل»، وما بعدها. أهمية مسارة كيان العدو إلى الموافقة على التهدئة، على رغم تأكيد وتهديد الفصائل بالانتقال إلى دائرة استهداف أشمل قد تصل سريعاً إلى تل أبيب، معطي كاشف للموقف الإسرائيلي المنفتح عن التصعيد الأمني، وسيكون حاضراً بقوة لدى الفصائل، سواء قرب التصعيد المقبل أو بعد، ومن شأنه أيضاً أن يكون عاملاً مساعداً في البحث عن تسويات لإنهاء ما أمكن من حصار غزة.

حافظت الفصائل الفلسطينية على قواعد الاحتياك التي أرادت إسرائيل تجاوزها والتأسيس لما يغازيها، عبر تظهير نديتها في مواجهة العدو واعتداءاته، وتحديداً ما يتعلق بتماتيلة الرد على الهجمات. نجاح، يتعلق باصل تخبيت هذه القواعد، التي كانت تنتهي في حال تردد المقاومين وامتناعهم عن ردود تناسبية، وكذلك يتعلق بما سيأتي لاحقاً من تجاوزات، إن قرر الاحتلال المجازفة والرهان على متغيرات

تراجعت صدقية إسرائيل لدى اعدائها إن هددت باستخدام الخيار العسكري

قد يرى أنها تدفع المقاومين إلى الإنكفاء. كان واضحاً منذ صباح أمس، إرادة التهدئة الإسرائيلية، وتحديداً لدى رئيس حكومة العدو بنيامين نتنياهو، وكذلك وزير أمنه، أفغدور لبيرمان. التوجه لديهما ابتداء إلى تحديد جلسة الوزاري المصغر ما بعد ظهر أمس، كما كان يحصل في جولات سابقة، مثلت إشارة إلى إرادة عقد الجلسة في ظل انتهاء التصعيد، بلا مناقفات سياسية، به واقع تبادل الضربات في اليومين الماضيين، وهي صورة سبّية من ناحية تل أبيب وستلاحق المسؤولين الإسرائيليين لغاية تبادل الضربات المقبلة، ما لم يقطع هذا التقدير الأولى التي امتدت طويلاً، وخلصت لهدوء طويل الأمد، ما زالت مقدماته مستعصية على الوسطاء.

نتيجة جولة التصعيد كما انتهت عليها أمس، متشعبة باتجاهين أساسيين: صورة انتصار فلسطينية بنسبة عالية جداً مقابل صورة أتخسار إسرائيلي واضحة، وهي صورة، غير محصورة فقط بالمنظور الفلسطيني، بل أيضاً وبشكل أساسي، لدى الجانب الإسرائيلي وجمهوره، الذي تلقى تدكيراً مع قيادته حول ما كان يمكن، وكذلك ما يمكن لاحقاً، في حال تطورت المواجهة واتسعت دائرتها.

والانتهاء الثاني، وهو الأكثر تأثيراً وحضوراً لدى تل أبيب، تراجع صدقية إسرائيل وقابليتها لدى أعدائها، إن عاوت وهددت باستخدام الخيارات العسكرية مقابل قطاع غزة، مع حضور محدودية الإرادة لديها على الذهاب بعيداً في المواجهة، حتى وإن عمدت فعلياً إلى مباشرتها.

مما تشكل من معطيات ووقائع نتيجة تصعيد اليومين الماضيين، هي إظهار تردد وإرباك العدو أمام الفصائل الفلسطينية، مع ظهور الخشية الإسرائيلية من إمكان تطور المواجهة المحدودة إلى تبادل الضربات، إلى الانفلات نحو دائرة تصعيد أشمل، قد توصل إلى حرب ومواجهة واسعة، تبيّن وربما تؤكد من جديد، أن إسرائيل لا تريد ما ولا تعمل سوريا ولبنان.

نتيجة التصعيد: صورة انتصار فلسطينية بنسبة عالية جداً مقابل انكسار إسرائيلي واضح (إف بى)



عليها، بل وتؤكد عملياً على منع مسباتها. حقيقة، ستكون حاضرة لدى الجانب الفلسطيني، مع أو من دون مرحلة تصعيد مقلية، وهذه هي إحدى أهم نتائج التصعيد الأخير، التي يمكن للفلسطينيين استغلالها والتأسيس عليها، للدفع قدماً بتسويات تمكن من رفع ما أمكن من حصار للقطاع، الهدف الرئيس للفصائل الفلسطينية في هذه المرحلة.

في تأثير ساحات التهديد الأخرى على الموقف الإسرائيلي، قال عضو الوزاري المصغر، يوفال شتاينتس: «يبدو أن إطلاق النار تراجع، فنحن غير معنيين بالانجرار إلى حرب، وأناً لا أستطيع القول إن أحداً في إسرائيل لديه حل سحري لقطاع غزة». وأضاف: «المعركة التي نديرها مقابل تعاضل إيران وحزب الله في الشمال، أهم بأضعاف مما هو التهديد في قطاع غزة، ولدى الكايبنت) رأي مشترك واحد، في منع الحرب والتدهور، سواء لدى المستوى السياسي أو المستوى العسكري». كلام الوزير صحيح، ولا يبعد أن يكون تهديد حزب الله في الشمال، في سوريا ولبنان، أحد أهم العوامل التي منعت حرب إسرائيلية شاملة ضد قطاع غزة، لكن في الوقت نفسه، لو لم تكن المواجهة مع غزة ذات غير محمول، مع غياب أيضاً للجدوى والقدرة على تحمل تبعاتها في مرحلة ما بعد الحرب، لكانت إسرائيل لجأت إلى العدوان الواسع بلا تردد، ليس فقط ضد الفلسطينيين وإنهاء تهديدهم، بل أيضاً في سياق التحضير والتأثير والردع على التهديد الشمالي، الهادف إلى تظهير القدرة والاقتدار، ومساعدة المساعي والجهود في مواجهة تهديد الساحتين، في سوريا ولبنان.